

ديوان

المغربيين

من شعر

صالح الدين القوصي

(الجزء الرابع)

الطبعة الأولى

غرة المحرم ١٤٢١هـ - أبريل ٢٠٠٠م

وقف لله تعالى لا يباع

(١)

﴿المَوْلِدُ﴾

﴿الرُّشْدُ﴾

(1.2)

﴿ المولد ﴾

﴿ الرشد ﴾

بِيسْمِ الْإِلَهِنَا الْأَعْظَمِ
وَسِرِّ النُّورِ فِي الطَّلَسْمِ
وَأَسْمَاءِ لَهُ عُظْمَى
يُعْرَفُ مَا بِهَا أَبْهَمُ
فِيكَشَفِ مِنْ حِجَابِ النُّورِ
مَا بِالسَّرِّ قَدْ أَظْلَمُ
وَبَعْدَ النُّورِ .. يَأْتِي الْقُدْسُ
يَحْجُبُ كُلَّ مَنْ أَقْدَمُ

عَمَاءُ الذَاتِ فَوْقَ الْكُلِّ
لَيْسَ لَوَاحِدٍ مَغْنَمٌ
فَطَمَسَ الذَاتَ بَعْدَ النُّورِ
يَسْتَرِمَنَّ لَهُ أَسْلَمٌ
وَ كُلُّ صِفَاتِهِ حُجْبٌ
لَمَنْ قَدْ ذَاقَهَا أَوْ هَمٌّ !!
وَقَدْسُ اللَّهِ مَكْنُونٌ
بِلا ظَنٍّ بِهِ أَوْ فَهْمٍ
فَسَبْحَانَ الَّذِي أَخْفَى
بِآيَاتٍ لَهُ تُعَلِّمُ
وَأَظْهَرَ مَا بِهِ أَخْفَى
كَصَوْتِ الْأَخْرَسِ الْأَبْكَمِ !!

يدور بقلبه المعنى
فأخرسَ عَقْلَه .. وَأَصَمُّ
يراه .. ولا يرى أحدا !!
وإن يسمعُ فلا يفهمُ !!
وإن يفهمُ فلا ينطقُ
وكل إشارة يكتُمُ
وإن فلتاته ظهرتُ
فمنُ بالسُرِّ يتكلمُ .??
فسبحان الذي آياته
حُجُبٌ لمن يعلمُ !!
وكل صفاته حُجُبٌ
وما الأسماء غير عَلمٍ !!

فَإِنْ أَشَدُّوْ فَتْسَبِيْحِي
بِحْمْدِ اللّٰه مَآ أَنْظِمُ
وَتَوْحِيْدِيْ لَهْ دِيْنِيْ
وَتَقْدِيْسِيْ لَهْ أَعْظَمُ
بِأَنْفَاسِيْ .. وَإِحْسَاسِيْ
وَذَرَآتِيْ .. وَكُلِّ الْجِسْمِ
أُرِيْ رَبِّيْ .. بِبَلَا عِيْن
وَاسْمَعَه .. بِغَيْرِ كَلِمٍ
فِيْدِنِيْنِيْ .. وَيَقْصِيْنِيْ
وَيَدْعُوْنِيْ لِكِيْ أَسْلَمٍ
وَغَيْرَ اللّٰه لَآ أَرْجُوْ
وَلَسْتُ بِغَيْرِهْ أَهْتَمُ

وهل فى الكون إلا الله
و الأكوان عىن الوهم !!
هو الباقى .. و كل الكون
غىر الله .. محضُ عَدَمُ
ىباسطنى .. فأخشى القربَ
حتى لا أسىء الفهم ..
وفى بعدى .. عذاب النار
أهونُ منه موتُ حمٍ
فلا كربٌ أشدُّ علىَّ
من بُعدى و لا من غمٍ
و بىن القرب و الإبعاد
زاد الحبُّ فى القمقم

وطار القلب بالرحمن

يشدو.. ثم يترنم

أحبك سيدي حقاً

وإيم الله .. خير قسم

تذوب الروح من حبي

وقلبي صار كالأبكم !!

ومن يدنُ إلى قلبي

يصبه من فؤادي سهم

فيسرى فيه منك الحب

بين ضلوعه و العظم

تسيل دموعه للخذّ
نشواناً .. بغير ألمٍ
ويبكي فرحةً بالله
معتزاً بما يكتّم ..!!
فإن زاد الهوى فيه
تفجر قلبه كحِمَمٍ
ولا يدري لمن يشكو
كأن لسانه أعجمٌ !!
فيسلمُ أمره صبراً
ويا طوبى لمن أسلمُ
وقد أسلمتُ توحيداً
وتقديساً لكم أعظمُ

وَجِئْتُ لِأَقْرَأَ الْقُرْآنَ
لِمَّا رَبَّنَا عَلَّمْنَا

قَرَأْتُ ” وَرَبَّكَ الْأَكْرَمَ “
وَفِي دَارِ ابْنِ ” أَبِي الْأَرْقَمِ “

كِتَاباً خَطَّهُ الرَّحْمَنُ
بِالْأَنْوَارِ .. فِيهِ حِكْمٌ

بِقَلْبِ ” الْمُصْطَفَى “ فِيهِ
سُطُورُ النُّورِ كَالْأَنْجَمِ

مَفْصَلَةٌ ... وَ مُحْكَمَةٌ
وَ جَلَّ جَلَالُ مَنْ نَزَّ

وقالوا: "بيتہ المعمور"
فیه سرُّه المحکم
" وبيتُ العزَّة الدنيا "
إليه حلّ وتنجم
وقيل: اقرأ .. وكن فطناً
زكى الروح .. كى تفهم
فسرى فى كتابى لا
يراه غير من أحرَم
ولبى .. ثم طاف بنا
وحررَ نفسه بالدم
وقبلنا .. لنقبله
وزكّت روحه زمزم

إِلَى سَعَى .. وَهَرُولٍ .. ثُمَّ
أَقْبَلَ نَحُونَا يَنْدَمُ
فَلَمْ يَرْفَعْ لَهُ طَرْفًا
إِلَيْنَا سَاجِدًا مُسْلِمًا

فَقُلْتُ : اللَّهُ مُوَلَانَا
وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ الْأَعْظَمُ
فَخَذَنِي سَيِّدِي عَبْدًا
لَكُمْ حَقًّا نَقَى الدَّمُ
وَعَلَّمَنِي .. وَأَدَّبَنِي
وَكَوْنُكُمْ سِوَى لَكُمْ فَاهْرَمُ

وأيدنى بنور الذات
واجعلنى به أحرَم
وَضَعْنى خادماً مولى
عند "المصطفى" أخدمُ
بأمر المصطفى أحيَا
ورأسى منه تحت قدمِ
يغذِّينى .. ويهدِّينى
وَمَنْ ذَا مثله يُكرِّمُ !!
وفيه "الرحمة المهداة"
منك .. فمن بنا أرحم؟؟
عليه صلاتكم أبداً
بعد الذرِّ والأنجمِ

وقلتُ مناجيا ” جدِّي “

وإني منه بعض نسَمُ :-

” رسولَ الله “ من قلبي

سلاماً طيبه قد عمّ

وكلُّ صلاةٍ مولانا

لروح رسوله الأفخمُ

حبيبي ”المصطفى طه“

و نور صفاته الأقدمُ

رسولُ الله .. إن تدرى ..

و كنزُ الله .. لو تعلمُ ..

أعيش بكم كأنفاسي

و نبض القلب في المعصمُ

بشریانی .. و آوردتی

و حتی هیکلی و العظم

وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِ مِنْكُمْ

یبوء بخبیه و ندم

وَمَنْ لَمْ يَسْتَنْرُ مِنْكُمْ

یعیش بجهله و ظلم

وَمَنْ لَمْ يَنْتَهِلْ مِنْكُمْ

فلا حظ له بقسم

و کم من مادح فیکم

و حتی دون ان یسلم!!

ولستُ بِمُدْرَجٍ فِيهِمْ
وَمَالِي فِيهِمْ مِنْ سَهْمٍ
فَأَنْتُمْ سَيِّدِي وَاللَّهِ
فَوْقَ بَيَانِ كُلِّ قَلَمٍ
وَلَكِنِّي .. أَحِبُّكُمْ
بِحُبِّ زَادٍ وَتَطْمَظْمٍ
فَأِنِّي عَاشِقٌ "طَه"
وَإِنَّ الْعِشْقَ يَتَكَلَّمُ !!!
وَلَيْسَ بِنَافِعٍ فِيهِ
إِذَا أَعْلَنْتُ أَوْ أَكْتَمْتُ
فَلَسْتُ بِمَادِحٍ .. لَكِنْ
أَنَا الْهَيْمَانُ وَالْمُغْرَمُ

حبيبَ الروح .. يا مولاي
و الرحمن خير حكم
فإني بعثكم قلبا
بكم يا سيدى أسلم
بنور " المصطفى " فيه
وعرش إلهنا الأكرم
أبيت الليل يقظانا
أسبح ربي الأعظم
فأشكره .. وأحمده
على هدى له قد عم
فنور " المصطفى " بدؤ
ونور " المصطفى " يختم

عليك صلاة مولانا
بَعْدَ الذَّرِّ وَالْأَنْجُمِ

ويزداد الجوى عندي
فأشدو ثم أترثم
فأنطقُ بالصلاة عليك
من شفتيَّ وأسلمُ
فإن فاض اشتياقي صار
يفرى أضلعي واللحمُ
فإن هامتُ بكمُ روحى
سكنتُ و كنتُ كالأبكمُ !!

أَغْيَبُ فِي بَحَارِ النُّورِ
كَالْغَطَّاسِ تَحْتَ الْيَمِّ
وَكَلِّ مِيَاهِهِ .. دُرَّرُ
تُفَوِّقُ خِيَالَ مَنْ يَحْلُمُ
فَأَذْهَلُ .. ثُمَّ أَطْفِئُ .. ثُمَّ
أَقْطَعُ غَطَّاسِي بِالْعَوْمِ
وَمَنْ فِي الْبَحْرِ .. مَهْمَا كَانَ ..
يَزْعَمُ أَنَّ لَهُ قَدَمَ !!!
وَهْدَى غَلْطَةَ الْعِشَاقِ
مِنْ زَهْوٍ بِهِمْ أَوْ وَهْمِ
فَلَا قَاعٌ لِبَحْرِ النُّورِ
مَهْمَا قَالَ مَنْ يَزْعَمُ

بلا شطّ .. فلا ينجو
الذى لمياهه أقدم
وما المنجاة إلا فيه
تطهيراً لكل سقم
وَ طوبى للذى يسقى
بماء العشق أو يُطعم
وَمَنْ يَرَوْ .. وَمَنْ يَشْبَعُ
بنورِ طعمه بلسم !!
وكل اللؤلؤ الدرى
والمرجان فيه حكيم
وَجَلَّ جلالُ خالقه
وعزّ ثناء من أنعم

و غرقىَ البحرَ بالآلافِ
صرعى .. و جههمُ مفعمُ
بأنوار من المولى
تجلتْ فوقهمُ وَ بهمُ
همُ الغرقىَ .. بلا موتِ
و بشر الوجه يتبسمُ
حيارى همُ .. وعند الله
فى الأكوان خيرِ قممُ

فعلمنى رسولَ الله
فضلا منك فنَّ العومُ

ببحر الحب .. والعشاق
كى للمُصْطَفَيْنَ انضمُ
فلستُ بغيركم مولاى
مشغولا .. ولا أهتمُ
فكم علمتني قبلا
و كنت المرشدِ الأعظمُ
وكم عرفتنى سراً
له الأبواب لا تفهمُ
فذقتُ حلاوة الإيمان
منك .. وجلَّ من ينعمُ
ولستُ بمرتجٍ الاك
” يا جدِّى “ لكشفِ الغمِّ

وَقُرْبَىٰ مِنْكَ جَنَاتِي
وَرِضْوَانِي .. وَخَيْرِ نِعَمٍ
وَبُعْدَىٰ عَنْكَ أَهْوَنُ مِنْهُ
قَتْلِي أَوْ شَرَابِ السَّمِّ
فَأَنْتَ حَيَاةٌ إِيْمَانِي
وَرَوْحُ الرُّوحِ مِنْكَ أَشْمَمٌ
وَاطْيَبُ طَيْبِ دُنْيَانَا
وَأَخْرَانَا .. وَمَا أَغْنَمُ
وَمَنْ يَعْلَمُ بِسِرِّكُمْ
يَفْزُ بِالْجَنَّةِ الْأَعْظَمِ
فَأَنْتُمْ كَنْزُهُ الْمَسْتُورِ
أَنْتُمْ وَجْهَهُ الْمُنْعِمِ

عليك صلاة مولانا
بعد الذرّ والأنجم

ولما كان " شهر النور "
صار الأمر قد أتمم
فأشرق وجهكم للكون
غنى الخلق وترنم
و فضل زمانكم " بالمولد
النبوي " فوق الفهم
فإن " المولد النبوي "
أعلى مئة المنعم

فكل ملائك الرحمن
سَبَّحَتِ الذی أَنعمُ
أتمَّ النعمة الكبرى
وأكمل دينه وأتمَّ
وَمَنْ يَنْهَلُ يَجِدُ عَجَبًا
ولا خير لمن أحجمُ
وَمَنْ فِي قلبه مرض
يجد بالطيب ريحَ رَمَمٍ !!
وما يدعوه عافيةً
به حقا .. فمحض وَرَمٍ !!
هي الدنيا تلاعبه
وتتركه لبحر الوهم

و شيطان يصادقه
فيغمي قلبه ويصم
ونفس حية تسعى
كثعبان له أرقم
فدعنا منهم فالقول
للهيمان ليس لهم

”رسول الله“ يا ”جدي“
عليك الله قد سلم
وصلّي دائماً أبدا
عليك .. بقدر ما يعلم

”بشهر النور“ يا مولاي
حُبُّكَ .. دائما يَكْرَمُ
فلَمَّا كان مولدكم
وَ هَلَّ النور منه و عَمَّ
أَتْنِي مِنْكَ مَكْرَمَةٌ
و كمْ قَدْ نَلْتُ مِنْكَ كَرَمًا
و قُلْتُ : اصعد إلى الأعلى
فَمَا فِي الْأَرْضِ غَيْرَ عَدَمٍ
فَقُلْتُ : عَلَيْكَ صَلَّى اللَّهُ
كُلُّ الْخَيْرِ مِنْكَ بِكُمْ
وَ رَفَقْتَكُمْ هِيَ الْبُغْيَا ..
و يَا سَعْدَ الَّذِي يَفْهَمُ

فقلت: اصعد.. وسوف ترى
بأني دائماً معكم

صعدتُ ”الطور“ كي ألقاه
والتوحيدُ لي سلمٌ
دَنَوْتُ.. فَعَبْتُ في السُّكْرَاتِ
لكنْ كنتُ كالملهمِ

فقلتُ : تبارك الرحمن
قال : و فاز من أسلم

سجدتُ .. فقال : ما ترجو؟؟
فقلتُ : رضاك .. قال : لكم

بشرطٍ أن تصون العهدَ
واحفظُ كلَّ ما تعلمُ
وكنْ بعبیدی الحانی
فإنی فوقکم أرحمُ
فلا تظهرْ لهمْ سرّاً
سوی ما عقلهمْ يفهمُ
و بالتوحید بادِرْهمْ
و بالإحسان عرّفهمْ
و فی التقدیس أغرِقهمْ
ولا تغضب .. ولا تغتمْ

فقلتُ: رجوتُ توحيدى ..

فثنانى .. وقال : الزم !!

فنور ”المصطفى“ يسرى

بأنوارى هُدىً فيكمُ

وما غير ”النبيِّ“ لنا

الوسيلة عند من يقْدُمُ

وَسرِّى فيه .. فالزمُ يا

لبيباً .. إن أردتَ الفهمُ

وكنْ مِنْ خَيْرِ مَنْ صَلَّى

عليه و خير من سلّم

فإن ”المصطفى“ للكون

يا عبدى .. هو المعنمُ

فإنْ تَرجو لنا وجهاً
فَعند "المصطفى" فأقيمُ
تَرى عَجَباً .. فلا تنطقُ
وَدعُ من لا يرى يُحرَمُ
فَذا كوني أدبره
بمِيزاني لمن ألهمُ
وَسبحاني .. أنا الرحمن
أبدأ ما به أختَمُ
فَصَلِّ على بحار النور
وَاستمسكْ به و الزمُ
عليه صلاتنا أبدأ
و يا طوبى لمن سَلَّمَ

”رسولَ الله“ يا ”جدِّي“

أَجْرُنِي مِنْ ظُنُونِ الْوَهْمِ ..

أَلُوذُ بَكُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ

و الْأَنْوَارِ .. كَيْ أَفْهَمُ ..

فَيَوْمَ ” المولد النبوي “

فِي الْأَسْحَارِ بَعْدَ النَّوْمِ

رَأَيْتُ ” البرزخ “ الْمَسْتَوْرَ

مِثْلَ الْكَفِّ فِي الْمَعْصَمِ ..

بِهِ ” الْأَرْوَاحُ “ كَالْأَطْيَارِ ..

و الدنیا کماء الیوم

بِهِ الْأَمْوَاتِ .. وَ الْأَحْيَاءِ

كَالْمَوْتَى وَ مَنْ يَحُلُمُ

فإن ماتوا .. له انتبهوا
و طال الحزن بعد ندم
ولو كُشف الغطا حقا
سيصعق كل من يُصدَم!!
وقد شاهدتُ أعلاه
” بقيع الغرقدِ “ الأكرم
به الأرواح كالأجناد
بل كالدُرِّ والأنجم

و كان ” الصورُ “ فوق
” البرزخ “ المذكور.. مثل الكم!!

وأسفل "بيته المعمور"
"بيت العزة" الأكرم
وبينهما خيوط النور
تجرى بالقضا المبرم
وكان "كتابه المكنون"
عند "اللوحي" تحت "قلم"
وكل ملائكة الرحمن
حول "العرش" تحت قدم
وقد شاهدت في "الكرسي"
خلق الله مثل عدم
وفي الجنات عشت "بكوثر"
الفردوس خير نعم

وحتى النار.. قد عاينتُ
ما فيها بكل سقمٍ
وكان الكلُّ في فردٍ
أراه بحاضرٍ وقدمٍ !!
وما الأفلاك و الجنات
منه غير بعض الجسم
كمرآةٍ بها عَيْنٌ
وعَيْنُ العَيْنِ في الأقدم
وفي العينين .. مرآة
ولكن وجهها مُبهمٌ

وقد شاهدتُ رُوحاً لا
يحاط بها .. ولا تُعلمُ !!
بها الأرواح كالأطفال
بل كالحَبِّ في السَّمِسمِ
فتَحْضُنُها ... وترعاها
بِقَلْبِ أبٍ لها أو أمِّ
وفيها القِبلةُ الكبرى
ومحرابٌ لِمَنْ قَدْ أمَّ
و”مشكاة“ ..بها” المصباح“
فيه ” الزيتُ “ بدرُّ تمِّ
وفيه ” الكوكبُ الدُرِّيُّ “ ..
و ” المصباحُ “ كالبرعمِ

و نورُ الله في الأكوان

يسرى بينهم وَيَعْمُ !!

وَهَمَّتْ بِهَا .. فلمْ أَنْطَقْ ..

لسانى كان قد أَلْجَمُ

فَهَمَّتْ بِهَا نَطَقًا

بغير فصاحة كالعجمُ

ولكنْ كلُّ ما شاهدتُ

ما جَذَبَ الفؤَادَ .. وَ لَمْ !!

فنوركُ سيدى فى الكون

كان الأنور الأعظمُ

وما الأكوانُ إنْ تُنسَبُ

لنورك غير بعض لَمَمٍ !!

(١٣٧)

وَمَا قَصْدِي بِمِفْهُومٍ
سِوَى الْعَارِفِ الْمَلْهُمِ !!
وَمَهْمَا قُلْتُ مِنْ وَصْفٍ
وَمَا سَطَرْتُهُ بِقَلَمٍ
فَسُرُّ "مَحْمَدٍ" أَعْلَى
وَنُورُ "مَحْمَدٍ" أَعْظَمُ
وَحِظُّ "مَحْمَدٍ" أَوْفَى
وَ قَدْرُ "مَحْمَدٍ" أَفْخَمُ
وَ رُوحُ "مَحْمَدٍ" أَسْمَى
وَ نَفْسُ "مَحْمَدٍ" أَكْرَمُ
وَ وَجْهُ "مَحْمَدٍ" أَسْنَى
وَ طَيْبُ "مَحْمَدٍ" أَنْعَمُ

وَنَعْتُ "محمّدٍ" أحلى
وَقَلْبُ "محمّدٍ" أرحمُ
عليك صلاة مولانا
بعد الذرِّ والأنجمِ

فهل يا سيدي حقاً
عرَفْتُ .. تراها أم من وهم؟؟
وهل أفصحتُ أم أوجزتُ
أم في الخير أن أكتُمُ؟؟
فإن يا سيدي أخطأتُ
أو قد فاض مني إثمُ

وإن أسرفتُ أو أوجزتُ
فاستحقتُ منك اللومَ
فجهلى سيدى عذرى ..
وما شيدتهُ أهديمُ !!
غرورُ النفس أودى بى
ومن جهلى أسأتُ الفهمُ
فسامحُ سيدى ذنبىَ
واستغفر لى المنعمُ
فأنتمُ سيدى بابى
وملتجأى لرفع الغمِ
وعلمنى _ عليك الله
صلّى - كيف أتكلّمُ

وَعَرَّفَنِي مِنَ الْآدَابِ
مَا رَبِّي لَكُمْ عَلَّمَ

عَلَيْكَ صَلَاةٌ مَوْلَانَا
بَعْدَ الذَّرِّ وَالْأَنْجُمِ
بِمَا لَمْ يَرُقْ مَخْلُوقٌ
لَهُ حِظٌّ بِصَدَقِ قَدَمٍ
وَلَا مَلَكٌ يُطَاوِلُهَا
بِنُورٍ.. أَوْ بَبْعِضِ الْفَهْمِ
فَمَنْكَ إِلَيْهِ يَا رَبِّي
تَلِيْقُ بِنُورِهِ الْأَكْرَمِ

وَضَعْنَا سَيْدِي فِضْلًا
لنصبح خير مَنْ سَلَّمَ
عليه صلاتكمُ أبدأً
وجلَّ إلهنا الأعظمُ
وحمداً سَيْدِي أُنِّي
”قرأتُ وربُّكَ الأكرمُ“



ربيع الأول سنة ١٤٢٠ هـ - يونيو سنة ١٩٩٩ م

